

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في أكله وشربه

الطعام والشراب حاجتان أساسيتان لا يمكن الاستغناء عنهما مهما كانت الأحوال والأوضاع، فهما سر الحياة، ومن أعظم النعم التي أمّن الله بها على عباده، ووجه الانتظار إليها في كثير من الآيات القرآنية، للعلفة والعبرة، والشكر والامتنان. قال تعالى: ﴿فليُنظر الإنسان إلى طعامه × أنا صببنا الماء صبا × ثم شققنا الأرض شققا × فأنبتنا فيها حبا × وعنبيا وقضيا × وزيتونا ونخلا × وحدائق غلبا × وفاكهة وأبا × متاعا لكم ولانعامكم﴾ (عبس:24-23).

وقد جاء الهدي النبوي فوضع لهذا المظهر الإنساني جملةً من الآداب التي ترفع من قيمة المسلم، وتحقق له التميز على بقية الشعوب والأمم.

وأول من يُذكر في هذا الباب، القاعدة النبوية العظيمة التي قررها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا يد فاعلا، قلّتْ لطعامه ولثّتْ لشربه ولثّتْ لنفسه) أخرجه أحمد والترمذي. فالهمم إذا أن يجد الإنسان ما يحفظ له حياته، لا أن يكون تناول الطعام وتنويعه هدفًا بحد ذاته.

وقد حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على تطبيق ذلك، فلم يكن يكثر من تناول الطعام ويتبع أنواعه، بل كانت تمر عليه الأيام الطويلة من دون أن يطبخ في بيوت نسائه شيء، ويتفكي بالخبز الذي كان أكثر أكله.

وكان من هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – غسل اليدين قبل الطعام وبعدّه، فقد قال: – صلى الله عليه وسلم – (من نام وفي يده ريح غمر وأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه) رواه أبو داود، ومعنى (الغمر): دسم ووسخ، وغيرهما من الشحوم.

أما عن صفة جلوسه – صلى الله عليه وسلم – على مائدة الطعام فقد كان يجلو على ركبتيه عند الأكل، أو يتصب رجليه اليمنى ويجلس على اليسرى، فعن أنس رضي الله عنه قال: «رايت النبي – صلى الله عليه وسلم – جالسا متعبيا يأكل تمرا»، رواه مسلم وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يأكل على الأرض ولا يتخذ مائدة، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه فقال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، رواه الطبراني.

وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل متكئا، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: (لا أكل متكئا) رواه البخاري ومعنى (المتكى): هو المعتقد على السادة تحته.

وكان لا يأكل – صلى الله عليه وسلم – متطيحا، ومعنى (متطيحا): أي مستلقيا على بطنه ووجهه، فقد جاء النبي عن ذلك،كما روى ذلك ابن ماجه.

وكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – في هذا الشأن أنه يسمى الله تعالى في أول طعامه ويحمده في آخره، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره) رواه أبو داود، وعند الفراغ من الطعام يقول: (الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه، غير تكفي – أي لا يستغني عنه الخلق –، ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا) رواه البخاري، ويقول: (الحمد لله الذي كفانا وآوانا، غير مكفي ولا مودع ولا مكنون) رواه البخاري، ويقول: (الحمد لله الذي أطعنا وسفانا وجعلنا مسلمين) رواه ابن ماجه، ويقول: (اللهم اطعمت وأسفيت، وأغثيت وأفقيت، وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت) رواه النسائي، ويقول: (الحمد لله الذي أطعم وسقى، وسوغه وجعل له خرجا) رواه أبو داود، ويقول: (الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة) رواه الترمذي، وإحيانا يقول: (الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، من علينا فهدانا، وأطعنا وسفانا،

وكل بلاه حسن أبلانا، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري. وهدي من الضلالة، وبصر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا، الحمد لله رب العالمين) رواه ابن حبان في صحيحه.

ثم إن من هديه – صلى الله عليه وسلم – الأكل باليمين ومما يليه، فقد جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (إذا أكل أحدكم قليئا بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله) رواه مسلم، وثبت عن عمر بن أبي سلمة قال: أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) متفق عليه.

وكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – في تناوله طعامه، أنه يأكل بأصابعه الثلاثة، وكان يلعبها إذا فرغ من طعامه، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال، (رايت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يأكل بثلاث أصابع، فإن فرغ لعبها) رواه مسلم، يقول الإمام ابن القيم في زاد المعاد: « وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة، والجشع الحريص يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة».

وإذا تتبعا ما كان يأكله النبي – صلى الله عليه وسلم – لمسا عدم تكلفة، فقد ورد عنه أكل الحلوى والعسل، وأكل الرطب والتمر، وشرب اللبن خالصا ومشويا –أي مخلوطا بغيره –، والسويق – وهو طعام يصنع من الحنطة والشعير –، وأكل الألف – اللبن المجفف –، وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز بإخل أو الزيت، وأكل الزريد – وهو الخبز باللحم



–، وأكل الخبز بالشحم المذاب، وغير ذلك مما ورد في السنة. لكنه عليه الصلاة والسلام كان يفضل أنواعا من الأطعمة، فقد كان يحب البقل والفاكه – وهو الخيار –، والدياء (وهو الفرع)، وروى عنه خديمة أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يتتبع الدياء من حوالي القيصبة، متفق عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام يحب الزريد بشكل خاص، حتى جعل قفيل عائشة رضي الله عنها على سائر نسائه تفضل الزريد على سائر الطعام، متفق عليه، وكان – صلى الله عليه وسلم بحب من اللحم الظهري والتكف، وكان يقول: (أطيب اللحم لحم الظهري) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة، فُرِّع إليه الشراخ وكانت تعجبه، متفق عليه. وكثيرا ما كان الصحابة يدعون النبي – صلى الله عليه وسلم – فليقبل دعوتهم، ويأكل من ولانهم، كما حصل في غزوة الخندق وغيرها، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو لصاحب الطعام فيقول: (أقبل عندك الصائئون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة) رواه أبو داود.

لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقبل الطعام الذي جاء على سبيل الصدقة بخلاف ما جاء عن طريق الهدي، فإن الصدقة تحمل في معانيها الرحمة والمساكنة، فذلك كانت الصدقة محرمة عليه وعلى ذريته صيانة لهم وإعلاء لشأنهم كما صح بذلك الحديث. والحال أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يسأل عن الطعام الذي يأتيه، فإن كان هدية قبله،

إن القرآن وهو يتنزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كان يعطي إلفاظه معاني معينة ومحددة، في العقيدة أو الشريعة، إجمالا أو تفصيلا. ولو نتبع الباحث بالاستقراء ورود لفظ ما من ألفاظ القرآن الكريم لأمكنه الوقوف على معان متعددة ومختلفة للفظ الواحد، بحسب السياق الذي ورد فيه هذا اللفظ أو ذلك.

والفاظ (الجهاد) و(القتال) و(الحرب) و(النكر) مثال على ذلك؛ فقد تواردت هذه الألفاظ الأربعة في القرآن الكريم بنسب مختلفة، وبدلالات متنوعة، حددتها السياقات القرآنية التي جاءت فيها. وفي السطور التالية نحاول التعريف بهذه الألفاظ الأربعة، من حيث دلالاتها اللغوية، ومن حيث معانيها الشرعية التي وردت عليها.

لفظ الجهاد
(الجهد) يضم الجيم وفتحها: المشقة والطاقة والوسع. والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يقال: جهدت رأيبي واجهدته، أي: اتعبته بالفكر. والجهاد، والجمادة: استقراغ الوسع في مدافعة العدو.
ولفظ (الجهد) بمشقاته المتعددة ورد في القرآن في تسعة وثلاثين موضعا؛ فجاء كـ (اسم) في تسعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِمْ بِاللّٰهِ جِهدَ إِيْمَانِهِمْ﴾ (الأنعام:109)؛ وجاء كـ (مصدر) في أربعة مواضع، منها قوله سبحانه: ﴿وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِهِ﴾ (التوبة:24)؛ وجاء كـ (فعل) في باقي المواضع، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة:218).

ولفظ (الجهاد) جاء في القرآن على معان:

منها: الجهاد بالسلاح. وهو المعنى المتبادر عند الإطلاق، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ لَِلْمُحَادِّينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:95).

ومنها: الجهاد بمعنى القول. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوهُمْ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفراق:52)، يعني: جاهدوهم بالقرآن جهادا كبيرا. ومنها: الجهاد بمعنى العمل، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ (العنكبوت:6)، يعني: ومن يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه، أي: له نفع ذلك. ثم إن الراغب في كتابه: المفردات، قال: والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (78).

لفظ الحرب
لفظ (الحرب) مشتق من الحرب، وهو: السلب. يقال: حربته ماله، أي: سلبته إياه، ورجل محارب: شجاع قووم يأمر الحرب مباشرة لها. و(الحرية) آلة الحرب معروفة: و(محارب) المسجد، قيل: سمي بذلك؛ لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى. وقيل: سمي بذلك؛ لكون الإنسان حري به أن يكون حريبا من أشغال الدنيا ونوازع الخواطر.
وقد ورد لفظ (الحرب) في القرآن عشر مرات باشقاقات مختلفة: فجاء كـ (اسم) في أربعة مواضع، منها قوله سبحانه: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد:4)؛ وجاء كـ (فعل) في موضعين، أحدهما: قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا جِزَاءُ

ألفاظ قرآنية «الجهاد - القتال - الحرب - النفس»

«والفتنة أشد من القتل» (البقرة:191)؛ وورد بصيغة (قتال) في عشرة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة:216).

ومنه المادة وردت في القرآن على عدة وجوه ومعان: منها: القتل بمعنى القتال والمحاربة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن قَاتَلْتُمُوهُمْ فَافْتَكَوْهُمْ﴾ (البقرة:191)، والمعنى: إن قاتلوكم فقاتلوهم. ذكر هذا الوجه الطبري في «تفسيره». ثانيها: القتل بمعنى قعل القتل، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّؤْمِنًا فَعَلَهُ كَافِرًا بِمَا كَفَرَ، كَمَا إِذَا خَرَجَ لَهَا، وَمَضَى لِقَاتِلِ الْعَدُوِّ، وَمَنَّهُ أَيْضًا (الاستنفار)؛ وهو جث القوم على النفر إلى الحرب، أو أن ينفروا منها. ومنه أيضا (النفر) من منى، وهو الخروج منها بعد الانتهاء من رمي الجمرات. ويطلق على الرجال إذا كانوا ثلاثة إلى عشرة (نفر)؛ سوا بذلك لأنهم ينفرون للنصرة. و(النفير): القوم ينفرون للقتال.

ولفظ (نفر) ورد في القرآن في اثني عشر موضعا. جاء في ثمانية منها على صيغة (الفعل)، منها قوله تعالى: ﴿فَانْفَرُوا بُيُوتًا وَانْفَرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء:71)؛ وجاء في ثلاثة مواضع كـ (اسم)، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ (الأحقاف:29)؛ وجاء في موضع واحد على صيغة (اسم الفاعل)، وهو قوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ حَمِرٌ مَسْتَفْرَّةً﴾ (الذئدر:50)، أي: ناهرة.

وهذا اللفظ ورد في القرآن على معان: منها: بمعنى الخروج للجهاد، وهو الاستعمال الأغلب لهذا اللفظ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَأْتُوا مَضَاجِعَ رَبِّكُمْ وَقَدْ أَخْرَجْنَا عَنْ بُيُوتِكُمْ دِيَارَ بِلَادٍ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ﴾ (النساء:83)، أي: ما لكم إذا قيل لكم جاهدوا في سبيل الله؛ لنشر دينه ورفع رايته لتباطلتم وتقاسمتم عن ذلك المطلوب.

لفظ النفر
لفظ (النفر) يدل على التجافي والتباعد والإنزعاج عن الشيء وإلى الشيء، يقال: نفرت الدابة نفارا، إذا تحاجفت وتباعدت وانزعجت عن مكانها ومقامها. والإنفار عن الشيء، والتنفير عنه، والاستنفار كله بمعنى واحد. ومن هذا اللفظ استعمل لفظ (النفر) إلى الحرب، دلالة على الخروج للقتال ومواجهة الأعداء، يقال: نفر إلى الحرب، إذا خرج لها، ومضى لقتال العدو، ومنه أيضا (الاستنفار)؛ وهو جث القوم على النفر إلى الحرب، أو أن ينفروا منها. ومنه أيضا (النفر) من منى، وهو الخروج منها بعد الانتهاء من رمي الجمرات. ويطلق على الرجال إذا كانوا ثلاثة إلى عشرة (نفر)؛ سوا بذلك لأنهم ينفرون للنصرة. و(النفير): القوم ينفرون للقتال.
ولفظ (نفر) ورد في القرآن في اثني عشر موضعا. جاء في ثمانية منها على صيغة (الفعل)، منها قوله تعالى: ﴿فَانْفَرُوا بُيُوتًا وَانْفَرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء:71)؛ وجاء في ثلاثة مواضع كـ (اسم)، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ (الأحقاف:29)؛ وجاء في موضع واحد على صيغة (اسم الفاعل)، وهو قوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ حَمِرٌ مَسْتَفْرَّةً﴾ (الذئدر:50)، أي: ناهرة.
وهذا اللفظ ورد في القرآن على معان: منها: بمعنى الخروج للجهاد، وهو الاستعمال الأغلب لهذا اللفظ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَأْتُوا مَضَاجِعَ رَبِّكُمْ وَقَدْ أَخْرَجْنَا عَنْ بُيُوتِكُمْ دِيَارَ بِلَادٍ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَهُمْ لَا يَخْلَعُونَ﴾ (النساء:83)، أي: ما لكم إذا قيل لكم جاهدوا في سبيل الله؛ لنشر دينه ورفع رايته لتباطلتم وتقاسمتم عن ذلك المطلوب.